

## الفروسيّة في الشعر الجاهلي

تألّيف نوري حمودي القيسي - رسالة جامعية - ٣٦٠ صفحة -  
منشورات دار النهضة مطبعة التضامن - بغداد ١٩٦٤

بقلم : جلال الخياط

بحث نال به مؤلفه ، السيد نوري حمودي القيسي ، درجة « الماجستير » في الآداب من جامعة القاهرة بتقدير جيد جداً ، يقع في ثلاثة أبواب « الفروسيّة ، شعر الفروسيّة ، نماذج من الشعراء المرسمان » ، وفيه مقدمتان : الأولى للدكتور يوسف خليف الذي أشرف على الرسالة ، جاء فيها : « ... البحث في هذا الأدب يعد عملاً على قدر كبير من المسنة ... » - صفحة ٥ - ، والصورة المائة امامتنا عن البيئة الجامالية : « ... في حاجة شديدة إلى جهود الباحثين لتوسيع قسماتها وإبراز ملامحها ... » - صفحة ٥ - ، والمقدمة الثانية كتبها المؤلف نفسه ومنها نعلم أنه قد كرس كل جهوده للبحث في ميدان الأدب الجاهلي ، المجال الخصب الذي تطمّح إليه أفكار الباحثين دوماً ، إن الشعر العربي عبر عصوره ما زال مشدوداً إلى قاعدة الأدب الجاهلي وإنّه إذا تذكر لها فقد يفقد كثيراً من ملامحه أجواءه الأهميّة ولن يساعد ذلك على الشفاء والازدهار ، والأدب الجاهلي ما زال في كثير من مناجيه غامضاً فعمل المؤلف ، إذن مبارك ، وإذا علمنا أنه سيمجح دراسته هذه باخريات متى لات ادركتنا انتا ما ينفعون به بالطبع ، المسكين بعد ما قيل رواه هذا الميدان .

يضم الكتاب الأول من هذا البحث أربعة فصول تتناول التعريف بالفروسيّة وببراعتها وعذاها وتقاليدها ، ويتم المؤلف بكل ما قيل عن الفروسيّة مستعيناً بالقواميس والمؤلفات والنصوص في كثير من التسريح الواقي ويخرج في أن مفهومها الجاهلي : « ... البطولة في الحرب والبلاء في المعركة والعنفة عند توزيع العناائم وأطعام الضيوف وحماية الحقيقة والذود عن المرأة وذلة المرأة المستغاثة ... » - صفحة ٢٩ - ، ثم ينتقل إلى صفات النازرين والأخلاق : « شجاع وكريم وعزيز النفس يحترم المرأة ويدافع عنها ويغير المستجير ويعمل على رفع الظلم ، وهو حليم ، صاحب الخلق إلا إذا خلّم فعنده يصبح ثوررة عازمة ... » - صفحة ٣٩ - ، « ... وقد سئل حاتم هل من العرب أجد منك ، فتبسم وقال : كل العرب أجد مني ... » - صفحة ١٢٨ - ، وتلاحظ أن المؤلف يعرض موضوعه عرضاً لطيفاً يستعينه المقاري ، وليس فيه الجفاف الذي تحنته طبيعة العمل في بعض الرسائل الجامعية المنشورة بالاشارات والمصادر ، إن جميع النصوص

في الكتاب مشرحة مع تعليلات وافية ولكن الفقرات المقتبسة من المصادر المختلفة لم توضع بين أقواس وذلك لم يؤثر على وضوح الأفكار التي ناقشها المؤلف ، ينتهي هذا الباب بفصل عن التقاليد التي سار عليها الفرسان الجاهليون ، ولابد أن تكون هناك علاقة بين هذه التقاليد والفروسيّة التي رأهت في أوروبا قبل قرون ، ولعله من الرائع أن يتبع المؤلف دراسته هذه بأخرى تظهر مدى تأثير انظمة الفروسيّة في العالم بتقاليد الفروسيّة العربيّة ومثلها العليا وقيمها الخالدة .

الباب الثاني يضم أولية الشعر الجاهلي والاتتحال ، مصادر شعر الفروسيّة ، ومواضيعاتها ، ولقد وددت إن لا ينطوي المؤلف إلى أولية الشعر الجاهلي قضية الاتتحال لأن الموضوع يجب أن يحصر في الفروسيّة وحدها . إن قضية الاتتحال مهمة ، ولكن الكتاب عن الفروسيّة ، وحيثما لو ان المؤلف ادرج هذه القضية ضمن مقدمة شاملة للكتاب تكون مدخلاً عاماً في الشعر الجاهلي ، على أية حال يناقش المؤلف قضية الاتتحال هذه مناقشة ونيدة ليس فيها اندفاع ويعدّم كثيراً من آرائه بذلة يصعب دحضها ، ويعرض لآراء الدكتور طه حسين ويقرر أنها : « طريقة لو اتبعت لانقطعت الصلة بيننا وبين اسلافنا » - صفحة ٢١٧ - وذلك حق ، ويذكر المؤلف رأي الدكتور طه حسين : « في أن الرواية أنفسهم نظموا الشعر وحملوه على بعض الشعراء حملاً » - صفحة ٣٢٠ - يريد المؤلف عليه : « ولا يعقل أن إنساناً يقصي شعره ، ويهدّر نبوغه في نظم شعره بلين ثم ينسبه إلى غيره من الموتى أو الأحياء » وكان أولى به أن ينسبه لنفسه ليختبر به ، بل أية فائدة تعود على رجل يجده <sup>موهبة</sup> في الصناعة والنظام <sup>وهو</sup> يتخلى عن ثمرات فكره باختياره » - صفحة ٢٢١ - ، إن بعض الرواية حقاً نظموا قصائد ونسبوها إلى غيرهم كخلف الأحمر وذلك لأن سوق الرواية وما يبذله التأديب من مال أكثر رواجاً من نظم الشعر في وقت كثر فيه الشعراء وقل الرواة وفي وقت كان الناس يعترمون من يروي مشتى قصيدة جاهلية أكثر من ينظم الفسي قصيدة معاصرة لهذا السبب وجد الاتتحال ، وإن صح هذا في قصائد قليلة معينة فإن تطبيقه على الشعر الجاهلي كله يخالف الحقيقة وقد ادرك ذلك مؤرخو الأدب القدامى وأسهب المؤلف في اثباته .

الباب الثالث يضم ثلاثة فصول : « الحب عند عنترة ، والكرم عند حاتم ، وعروة والاشتراكية » ، وهي فصول ممتعة يعرض الاول لحب عنترة وفروسيته التي أصبحت اسطورة تنتظر من يحييها إلى اثر أدبي عالمي ، والثاني لسمائل الكرم التي اشتهر بها حاتم ، والكرم في ظليمة الفضائل التي اتصف بها العربي على مدى الاجيال ، وينتهي البحث في المشاركة الوجودانية التي عرف بها عروة وحبه للخير ومساعدة الآخرين ويقرر المؤلف أن « ... سلوكه في هذا المجال كان طبيعياً مستنداً على الشمائل الخيرة التي عاشها الإنسان العربي ... » - صفحة ٣٠٧ - ، وفي خاتمة الرسالة يقول

المؤلف : إن الخطة التي وضعها لكتابه هي أن يصنع من الفروسيّة « تياراً شعرياً ساد الفترة الجاهليّة وعاش أيامها وعاصر حوادثها » - صفحه ٣١٩ - ، وعندي أن المؤلف ، السيد نوري حمودي القيسبي ، قد وفق في ذلك بعد أن بذل جهوداً مضنيّة لا بد لم تتبعها تاريخ الأدب العربي والعربيين عليه أن يقدّرها حق قدرها لاسيما أن المؤلف ماض في هذا الطريق الوعر ليكشف لنا عن كثير من أسرار الحياة الجاهليّة .

إن الشعر الجاهلي لا بد أن يكون والنماذج الخالدة التي اتحفنا بها العصر العباسي نقطة الانطلاق في جعل الشعر العربي ينتشر بأجوائه الخاصة الأصيلية على نطاق عالمي ، وعلى هذا فان أية دراسة موقفة حول الشعر الجاهلي لن تكون عملية تنقيب عن الآثار وحسب وإنما هي خطوات حية في سبيل ابداع جديد .

إن هذا الكتاب سيعتبر مصدراً مهماً لدراسة الشعر الجاهلي والبيئة الجاهليّة . ولا يسعني بعد هذا التعريف الموجز السريع إلا أن أهني المؤلف وأتمنى له كل التوفيق .

